

أكذوبة العلاقة بين اللقاحات والتوحد

روجر بيت

مركز اميريكان انتربرايز

3 فبراير 2010

Autism and the Big Vaccine Lie

By Roger Bate

American Enterprise Institute (AEI)

ترجمة: علي الحارس

- باحث في مركز اميريكان انتربرايز (AEI).
- مدير حملة لمكافحة الملاريا في أفريقيا (منذ 2000).
- مؤسس ومدير قسم البيئة في مركز الشؤون الاقتصادية (1993-2003).
- وباحث فيه (منذ 2000).
- مدير (ومشارك في تأسيس) المنتدى الأوروبي للعلوم والبيئة (1995-2001).
- دكتوراه في الاقتصاد. جامعة كامبريدج.



روجر بيت

وأخيراً، تم التراجع عن بحث جعل الآباء يقلقون من إعطاء أطفالهم اللقاحات اللازمة. ففي عام 1998 نشر الدكتور اندرو ويكفيلد (Andrew Wakefield) وزملاؤه دراسة نظرية في المجلة الطبية البريطانية المرموقة (لانسيت The Lancet). وتم فيها ربط ظهور مشاكل سلوكية ومعوية لدى ثمانية أطفال تلقوا اللقاح الثلاثي (MMR) ضد الحصبة والنكاف والحصبة الألمانية.

لم يتطرق أي باحث بعد ذلك إلى تكرار النتائج. إلى أن قامت هيئة تحرير المجلة مؤخراً بالتراجع عما ورد في البحث. وهو أمر كان ينبغي أن يحدث عام 2004 (أو ربما كان الأفضل أن لا يجد هذا البحث طريقه إلى النشر منذ البداية). لقد احتوى البحث على الكثير من العيوب: فالعينة المدروسة صغيرة، ولم تكن هنالك مجموعة مقارنة، والعلاقة السببية لا يمكن البت في عدم انعكاسها (تم إعطاء اللقاح في السن ذاته الذي تكتشف فيه أعراض التوحد)؛ مما دفع (10) باحثين من أصل (12) شاركوا في البحث إلى التنصل منه عام 2004. مصرحين بأنه «ما من رابط سببي تم التأكد منه بين اللقاح الثلاثي والتوحد لأن البيانات لم تكن كافية». ومع ذلك ظل الدكتور ويكفيلد على عناده.

أكذوبة العلاقة بين اللقاحات والتوحد

لقد مر على الدكتور ويكفيلد مؤخرًا أسبوع سيئ بدأ بوضعه تحت مراقبة اللجنة الطبية العامة في بريطانيا لاتهامه بعدد كبير من التهم المتعلقة بانتهاك أخلاقيات المهنة، وسلوكه السيئ عموماً كباحث يستخدم البشر في تجاربه، ناهيك عن أنهم أطفال في هذه الحالة.

الأكثر أهمية وخطورة من نزاعات الدكتور ويكفيلد أنه أقنع الكثير من الأسر بالتوقف عن تلقيح أطفالها، وكانت النتيجة زيادة عدد حالات الحصبة في بريطانيا وحدها إلى حوالي عشر أضعاف ما كانت عليه قبل ذلك، ولا يزال يوجد إلى اليوم توجه مستمر يهدف إلى إضعاف خطط التلقيح الشامل للتخلص من الحصبة في بريطانيا وأربع دول أخرى، بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك من تفاقم الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد نبهت في العام الماضي إلى أن معظم حالات الحصبة المسجلة في الولايات المتحدة جاءت أو ترافقت مع أمراض وفدت إلينا من دول أخرى، وبالأخص الدول الأوروبية، حيث لا تزال تشهد عدة حوادث تفش لهذا المرض؛ وذلك بحسب تقارير مراكز مراقبة الأمراض في أمريكا التي تشير أيضاً إلى أن الحصبة هي من إحدى أولى الأمراض التي تعاود الظهور كلما انخفضت معدلات شمول خطط التلقيح.

منظمة يوفاك (EUVac)، وهي شبكة أوروبية لمراقبة الأمراض التي تتوفر لقاحاتها، وجدت أن الأوروبيين قد صدّروا الحصبة أيضاً إلى أمريكا الجنوبية التي لم تكن تعرف هذا المرض من قبل، واتهمت المنظمة كلا من بريطانيا وألمانيا ورومانيا وسويسرا وإيطاليا بالتسبب في ذلك.

أما منظمة الصحة العالمية فتقول أن اللقاح الثلاثي قد أدى إلى خفض الوفيات بالحصبة على مستوى العالم من حوالي (750,000) عام 2000 إلى (197,000) عام 2007. وكان ثلثا الانخفاض في أفريقيا، حيث انخفض عدد الوفيات بمعدل (89%). أما الدول الغنية فلا تعد الحصبة مما يؤرقها، فلم تكن هنالك إلا (7) حالات وفاة بين (12,132) إصابة في

أكذوبة العلاقة بين اللقاحات والتوحد

العامين 2006 و2007 بحسب بيانات منظمة يوفاك. لكن هذه الأرقام تخفي خلفها العواقب بعيدة المدى للحصبة والمعاناة التي تخلفها. فهي إن لم تقتل المريض هددته بالتهاب الرئة وإسقاط الجنين. كما إن الحصبة الألمانية (الحميراء) قادرة أيضا على التسبب بإسقاط الجنين أو ولادته ميتا. وإذا سلم الجنين منها فقد يولد حاملا معه تشوهات قلبية والعمى الصممي وغيرها من الاختلالات الجهازية. وقبل أن يعرف العالم تطبيق اللقاح الثلاثي عام 1969 كان النكاف هو السبب الأكثر شيوعا للإصابة بالتهاب السحايا الفيروسي. وذلك بالإضافة إلى إمكانية تسببه بالتهاب الدماغ لدى الأطفال والبالغين. والعقم لدى البالغين.

لكن، وعلى الرغم من أهمية التلقيح للأصحاء من الأطفال والبالغين. يبدو أن الالتزام بالتلقيح يمر بمرحلة تدهور بسبب الجدل حول اللقاح الثلاثي. حيث تشير الإحصائيات إلى أن ربع أطفال بريطانيا تقريبا لا يتلقون الجرعتين اللازمتين لاكتساب المناعة الكاملة. وهذه كارثة ينبغي أن تلقى مسؤوليتها على عاتق الدكتور ويكفيلد. كما لا يسلم من ذلك محررو مجلة (لانسييت) أيضا. وجوهر القضية هنا هو كيفية تعامل المجلة مع اكتشافات جديدة خطيرة. فمن يدرس الأخطار الكامنة في بعض الممارسات الخطرة. من التدخين إلى المخاطر المهنية (كالمواد المسرطنة في المصانع). عليه أن يستعين بمختصين في علم الأوبئة. كما هو الحال مع الدكتور ويكفيلد وأبحاثه حول اللقاح الثلاثي. لكنه لم يتبع معظم الإجراءات المرعية في هذا المجال (والتي وضعها أوستن برادفورد هيل (Austin Bradford Hill) من أجل العثور على العلاقة السببية المحتملة ما بين العاملين: فكانت العينة المدروسة ضئيلة العدد. ولم يتمكن من شرح وجود علاقة بيولوجية ممكنة. واختار أفراد العينة بنفسه ودون ضوابط؛ وهذه جميعها عوامل شديدة الأهمية كان من شأنها أن تؤدي بهيئة التحرير في مجلة (لانسييت) إلى رفض المقالة وطلب أدلة أخرى قبل الوصول إلى مرحلة نشرها على صفحات المجلة.

أكذوبة العلاقة بين اللقاحات والتوحد

إننا بحاجة في المجال الأكاديمي إلى من يقبل المخاطرة ويمضي بعكس التفكير العام، لكن ذلك لا يعني الخروج على قواعد اللعبة العلمية، حيث قد يتسبب ذلك بما لا تحمد عقباه.